الفلسطينية بحدوث هذا ، فهو أمر خارج نطاق فهم اناس غير متخصصين في الامور العسكرية ، ككاتبة هذا التحليل . ومع ذلك ، فان الامر يشكل مصدر حيرة وقلق علما بأن بعض الدوائر في عمان كانت على علم مسبق بأن الهجوم سيقع وانه سيكون واسع النطاق هذه المرة . كما أن الفدائيين في الجبل كانوا يتوقعون حدوثه قبل أيام . وهنا لا يسع المرء الا ان يسأل : هل كانت القيادة العسكرية للفدائيين تعتقد أن بامكان عناصرها الصمود في وجه الجيش الاردني المزود بأحدث الاجهزة الاميركية ؟ وهل كانت التضحية بمئات الارواح والاستسلام الذليل للعدو ذات فائدة لقضية الفلسطينيين ؟ بالطبع ان من يستطيع الاجابة على مثل هذه الاسئلة هي القيادة العسكرية للفدائيين .

وهكذا تمر الذكرى الرابعة والخمسون لوعد بلفور المشؤوم والفلسطينيون لا يزالون يعانون من البؤس ومن مشاكل يصعب الخروج منها . فحوالي مليون ونصف المليون منهم يعيشون كالاسرى في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، كما ان الـ ٧٥٠ الفا الاخرين الذين يعيشون في الاردن ويشكلون حوالي ثلثي سكانه أصبحوا يعتبرون « العدو رقم واحد »، و« الانشقاقيين » و« مغتصبي الوطن الاردني » . ومعظم الدول العربية الاخرى تقبل بوجود الفدائيين على اراضيها و« تساندهم » فقط في حال « تدجينهم » وقبولهم بسياستها . وقد عبر عن ذلك احد الفلسطينيين عندما قال بكل سخرية : « نوصف بأننا أمل هذه الامة عندما يهتز التأييد الشعبي للانظمة او عندما يكون في ذلك منفعة سياسية » . أضف الى ذلك ان اكثر من مليون فلسطيني يعيشون مشردين في مختلف ارجاء العالم ، منهم عدة مئات من الالاف يعيشون كلاجئين في لبنان وسورية والدول العربية الاخرى، ويقيم الباقون في المنفى خارج الوطن العربي .

وفي هذه السنة الخامسة للاحتلال الاسرائيلي لاراضي ثلاث دول عربية رئيسية تحولت مسألة « تحرير كل شبر من الاراضي العربية » الى معركة ديبلوماسية لفتح قناة السويس في وجه السفن الاوروبية . وهكذا اصبح الشعار الجديد هو عدم السماح للاسرائيليين بالبقاء « على الضفة الشرقية لقناة السويس . » وبطرح هذا الشعار اصبحت مسألة اعادة فتح القناة فورا او عدم فتحها هي المسألة الرئيسية في الازمة كلها . لذا يجب ان لا يلام الفلسطينيون اذا ما هم شعروا بنوع من الاضطراب والتمزق والتشويش والقلق عندما يرون قضيتهم وقد تحولت من جديد الى ملفات الامر الواقع كما حدث بعد ١٩٤٨ . وتعهد بعض المسؤولين العرب بأن اعادة فتح القناة ليس سوى المرحلة الاولى في نطاق تسوية عامة تأخذ بعين الاعتبار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، لا يشكل مصدر اطمئنان للفلسطينيين الذين رأوا بلادهم خلال الثلاثة والعشرين عاما الماضية يتم التنازل عنها ، قطعة قطعة ، مقابل اتفاقيات وقف اطلاق النار والهدنة مع اسرائيل ، كما أنهم — على يقين بأن رسم الخريطة النهائية للمنطقة لا يزال يتم في واشنطن وغيرها من عواصم الدول الكبرى .

أما بالنسبة لذكرى وعد بلفور في العام ١٩٧١ ، فاننا سنرى التظاهرات المعتادة تنظم في العواصم المختلفة في العالم ، كما سنسمع النداءات الموجهة الى العرب في الاراضي المحتلة للاضراب، مما سيجعل هؤلاء العرب يدفعون الثمن عندما تلجأ الشرطة الاسرائيلية الى الاعتقالات وربما ختم المحلات التجارية المغلقة بالشمع الاحمر كما حدث في قطاع غزة مؤخرا . وعندما كنا في معرض مناقشة ذكرى وعد بلفور مؤخرا تساءل بعض الفلسطينيين: « ولكن ما الفائدة من التظاهرات والاحتجاجات ». من سيهتم بذلك ؟ من سيستجيب ، ولن نقول من سيعمل شيئا ما ؟ أساسا من يلقي بالا « للفلسطينيين ؟ » وفي سياق الحديث ذكر احدهم ان يو ثانت قال مؤخرا انه تدخل شخصيا لدى الحكومة السوفياتية للسماح لاربعمئة يهودي بالهجرة من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل . وهنا تساءل احد الحاضرين : « لماذا لا يتدخل يوثانت لمساعدة ٤٠٠ فلسطيني للعودة الى بلادهم؟ لماذا ، بدلا عن ذلك ، يساعد ٤٠٠ مواطن سوفياتي ليذهبوا ويقيموا في بيوتنا وعلى اراضينا في حين انه يسمح ببقائنا مرغمين خارج بلادنا ؟ » نعم ، « لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ » هو واحد من ملايين الاسئلة التي يطرحها الفلسطينيون ولا جواب لها ولا من يجيب عليها . ولكن الاسئلة ، حتى التي لا جواب لها ، والتي تتكرر دائما لدرجة ان المرء يتمنى عدم سماعها من جديد ، تدفع المرء الى التساؤل والتأمل . وبالفعل ، يتساءل المرء ،